ASJP Algerian Scientific Journal Platform

مجلة افاق للعلوم

Issn: 2507-7228 – Eissn: 2602-5345

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/351

المجلد:07 العدد: 03(2022) ص925-936

إشكالية الهوية لدى الشباب الجزائري في ظل العولمة

The problem of identity among Algerian youth in light of globalization

لعربي بن أعمارة

المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية CRASC (الجزائر)

l.benamara@crasc.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
27 اكتوبر 2021

تاريخ القبول:
11 جانفي 2022

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الهوية الثقافية
- ✓ الاختراق الثقافي
- ✓ العولمة

الملخص:

ترتبط الهوية أساسا بمجموعة قيم مشتركة ومتوارثة في مختلف المجالات، يتبناها المجتمع ويدافع عنها، حيث أنها تحدد في جانب مهم منها بقيم الولاء والانتماء للدولة. ولقد حاولنا في هذه الدراسة التطرق لمختلف أبعاد الهوية الوطنية، والإحاطة بهذا الموضوع، بالأخص مع التحول الذي يشهده سلم القيم داخليا وخارجيا .تهدف هذه الدراسة أساسا إلى تحديد أبرز العوامل التي تؤثر في موضوع الهوية بالجزائر، وتبيان آثارها ومختلف انعكاساتها، وبالخصوص مع زحف العولمة وفي عصر السماء المفتوحة وتراجع المجالات التي تشملها السيادة الوطنية، وعلى ضوء ذلك كله سنحاول تشخيص إشكالية الهوية بالجزائر مع التركيز على فئة الشباب.

Article info

Received
27 October 2021

Accepted
11 January 2022

Keywords:
- ✓ *Cultural identity*
- ✓ *Cultural penetration*
- ✓ *Globalization*

Abstract :

Identity is basically linked to a set of common and inherited values in various fields, adopted and defended by society, as it is determined in an important aspect by the values of loyalty and belonging to the state. In this study, we have tried to address the various dimensions of national identity, and to take note of this issue, especially with the transformation witnessed by the ladder of values internally and externally. This study aims mainly to identify the most prominent factors that affect the issue of identity in Algeria, and to show its effects and various repercussions, especially with the encroachment of globalization and in the era of open skies and the decline of areas covered by national sovereignty, and in the light of all this we will try to diagnose the problem of identity in Algeria with a focus on the youth group.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

مقدمة:

لقد أدى التطور الحاصل في تكنولوجيات الإعلام والاتصال إلى ربط مختلف بقاع العالم ببعضها، حيث أصبح الكوكب قرية كونية صغيرة، ومع ظهور مختلف الوسائل المتطورة في التواصل والاتصال، عبر الأقمار الصناعية وغير ذلك فإن حدود الدول لم تعد مانعة، بل أضحت مائعة، سهلة الاختراق من طرف مختلف الفواعل، دولتية (étatique) كانت أو غير دولتية (non-étatique)، كما أنه في العصر الحالي، ومع اكتشاف أسلحة الدمار الشامل وأبرزها الأسلحة النووية، والتي رافقها تطور نظريات الحرب الشاملة والتدمير الثنائي المؤكد، فإنه قد أصبح من المستبعد قيام حرب نووية بين القوى الكبرى، لأن ذلك سيؤدي لفناء البشرية، لكن وبما أن الخلافات لا تزال قائمة، كما يقول صامويل هنتنجتون، فإن الصدام بين الحضارات هو الذي عوض المواجهة العسكرية المباشرة بين القوى الكبرى، بالإضافة طبعا إلى ما يسمى الحروب بالنيابة، وهي تلك الحسابات بين القوى العالمية الكبرى التي يتم تصفيتها على مستوى أقاليم دول أخرى (مثلما يحصل حاليا في سوريا)، وهو ما طرحه أيضا الأمريكي فوكوياما (ياباني الأصل) حول ما أسماه نهاية التاريخ وخاتم البشر، حيث اعتقد بنهاية الحروب الكبرى وحسم الصراع الأيديولوجي لصالح الفكر الرأسمالي وللقيم اللبرالية الغربية.

وبالرجوع لأطروحة صامويل هنتنجتون في المقال الذي نشره في 1994، فإنه قد تحدث عن صراع مقبل يلي الحرب الباردة - التي كان أبطالها الأيديولوجيتين الرأسمالية والاشتراكية- لكن أطرافه لن تكون الولايات المتحدة وروسيا والدول الدائرة في فلكهما، لكن هذه المرة سيكون صراعا حضاريا مستمدا من مبادئ كل حضارة على حدى، وأبرز الأطراف الأساسيين هم: الحضارة الكونفوشيوسية والإسلامية من جهة، والحضارة المسيحية الغربية من جهة ثانية، إضافة إلى حضارات أخرى تكون مساهمتها في الصراع أخف درجة على غرار الحضارة اليابانية، والأرثوذوكسية بروسيا وغير ذلك.

وعلى الرغم من وجود من يناقض تلك الأطروحة، إلا أن معالمها اتضحت جيدا، خصوصا منذ مطلع الألفية الثالثة، حيث ومباشرة عقب أحداث 11 سبتمبر 2001، تبنت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب الكونية على الإرهاب، إذ وبعد أقل من ثلاثة أشهر من تلك الهجمات قامت بغزو أفغانستان، ومن بعدها العراق في 2003، وغيرها من الحروب العدائية ضد الدول المنتمية للعالم العربي والإسلامي المناهضة لها، والملاحظ أنه لحد الساعة يغيب إجماع أو اتفاق دولي حول مفهوم ظاهرة الإرهاب، وبالتالي يتم الخلط العمدي بين الإسلام والإرهاب، وبتعبير آخر فإن الحضارة الغربية تحارب الهوية الإسلامية باسم الحرب على الإرهاب ولو بطريقة غير معلنة.

وكل هذا يبرز لنا، وانطلاقا من انتماء المجتمع الجزائري إلى العالم العربي والإسلامي، أننا لسنا بمعزل عن هذه الحرب الكونية ضد الهوية الإسلامية، ومختلف مقوماتها، لذلك فمن الضروري أولا معرفة طبيعة التحديات التي تواجه مقومات الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري، تلك القادمة من خارج الحدود، سواء ما هو مرتبط بإفرازات العولمة، أو بمخرجات الحرب على الإرهاب، أو حتى بالصراع حول الزعامة (Leadership) بين الدول الإسلامية غير العربية (تركيا وإيران على وجه الخصوص) ومن جهة ثانية ما هو مرتبط بالداخل، ومتعلق بمجتمعنا في ذاته، يعني ما يقوم به نفس هذا المجتمع لخلق شروخات واختلالات وهمية، أو بتقصير مؤسساته عن أداء المهام المنوطة بها، من تقوية اللحمة الوطنية، عن طريق تحديد دقيق للمقومات الهوياتية للمجتمع الجزائري، والاعتراف بها من جميع الأطراف والاتفاق على حمايتها بشتى الوسائل .

وتعد فئة الشباب هي المجموعة التي يجدر التركيز عليها في المجتمع، لأن التكوين الجيد لهذه الفئة وتلقينها مقومات الهوية الوطنية تجعلهم متمسكين بها، وهو يشكل لبنة قوية وأرضية متينة لحماية هذه الهوية، لأن زوالها يعني زوال حتمي للمجتمع الجزائري، فكيف يمكن تحديد طبيعة العلاقة التي تربط الشباب الجزائري بالهوية الوطنية على ضوء التحولات الراهنة في سلم القيم

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

داخليا وخارجيا؟ وما السبيل لتقوية وترسيخ الهوية الجزائرية لدى الشباب؟

سنعتمد على الفرضيات الآتية، من أجل الإجابة عن الإشكالية المطروحة:

- تؤثر التحولات الراهنة والحاصلة في مستوى القيم، على العلاقة الرابطة بين الشباب والهوية الوطنية.

- ساهمت العولمة بجل مظاهرها وآلياتها في الانفتاح على مختلف ثقافات العالم، وقد يؤدي ذلك إلى اتباع قيم الآخر، وبالتالي إضعاف الرابط بين الشباب والهوية الوطنية.

- الانفتاح غير المدروس على الثقافات قد يسهم في الانسلاخ الهوياتي، بالأخص حين تراجع الدور الذي كانت تقوم به مؤسسات الضبط الاجتماعي التقليدية .

وللإجابة عن هذه الأسئلة سنتبع خطة منهجية مشكلة من ثلاثة محاور أساسية:

أولا: واقع الهوية الثقافية والاجتماعية عند الشباب الجزائري.

ثانيا: أهم العوامل المسببة للانسلاخ الهوياتي لدى الشباب الجزائري.

ثالثا: طبيعة العلاقة بين الهوية الثقافية والأمن الوطني الجزائري.

وسنعتمد في هذه الدراسة على التحليل والوصف بشكل أساسي، مع الاستعانة بالمنهج المقارن.

1. واقع الهوية الثقافية والاجتماعية عند الشباب الجزائري:

يجدر بنا التطرق إلى تعريف مبسط لمفهوم الهوية، وبعديها الثقافي والاجتماعي، وأهم دعائمها، من أجل الاقتراب أكثر نحو واقع هذه الهوية الثقافية والاجتماعية لدى فئة الشباب الجزائري.

1.2 في مفهوم الهوية الثقافية والاجتماعية:

ترجع الهوية في عرف الحضارة العربية الإسلامية إلى "هو"، يعني أنها جوهر الشيء وحقيقته، ولما كان في كل شيء من الأشياء –إنسانا أو ثقافة أو حضارة- ما يطلق عليه "الثوابت" و "المتغيرات"، فإن هوية الشيء هي ثوابته التي تتجدد ولا تتغير، تتجلى وتفصح عن ذاتها دون أن تترك مكانها لنقيضها، طالما بقيت الذات على قيد الحياة.... إنها كالبصمة بالنسبة للإنسان، يتميز بها عن غيره، وتتجدد فاعليتها دون أن تتخلى عن مكانها لغيرها من البصمات (عمارة، 1999، ص6).

والهوية تعني "السمات المشتركة التي تتميز بها جماعة معينة وتعتز بها، وهي تتألف من منظومة متماسكة من السمات المشتركة بين أعضاء الجماعة" (تركي وآخرون، ص164). وهي أيضا "كإحساس بالتشابه، أين يتجه الفرد أو الجماعة نحو التطابق أو التماثل الأعلى للذات بالنسبة للمعايير السائدة في المجتمع" (المرجع نفسه، ص162).

ركزت هذه التعريفات على أن الهوية ترتبط بمجموعة من الأفراد، تجمع بينهم صفات مشتركة، وهو ما يسمح لهذه المجموعة بالتقارب فيما بينها وتشكيل وحدة متجانسة (Unité homogène)، كما أن هذه الهوية تتميز بالديمومة والاستمرار، فهي تتجدد جزئيا أو بالأحرى تتطور، لكنها تحافظ على ذاتها، بشكل يميزها عما يمكن تسميته بـ "الآخر".

ونجد "سليم عبو" يرى وجود هوية جماعية وأخرى فردية، فهو يعتبر أن الهوية الجماعية تكون على مستوى اثنية، أمة أو مجموعة فوق وطنية (groupe supranational)، وبالتالي فهي تاريخية، سياسية أو دينية. أما بالنسبة للهوية الفردية (identité individuelle) فإنها تأخذ مرجعيتها من عدة هيئات، فهنالك هوية جنسية (من الجنس)، عائلية، مهنية، اجتماعية... وغير ذلك، وبالنسبة للهويات الجماعية فإن متغير الثقافة هو الذي يضمن وحدتها (ABOU, 2009, p.18).

أما بالنسبة للهوية الثقافية، فإنها "مجموعة المبادئ والأفكار والمعتقدات، والالتزامات المذهبية التي تتشكل من خلالها ذهنية الإنسان، وتحدد بذلك مشاعره ووجدانه وسلوكه، مشكلة رؤية كلية إلى العالم الذي حوله، ورؤيته إلى عالمه الخاص" (تركي وآخرون، ص 165).

والهوية ليست بالضرورة دولة، ولكنها مسار (Processus) وهي أيضا معطى تاريخي يتم بناؤه، هدمه وإعادة بنائه وفقا للظروف السياسية، الاقتصادية والاجتماعية، محلية كانت أو إقليمية. والهوية كذلك تعبر عن فعل التمايز، فأنت

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

تكون "أنت" يعني أنك تختلف عن الآخر، سواء كان هذا "الآخر" خصم، منافس،... حقيقي أو تقديري، فالبحث عن هويتنا يعني السعي للحصول على أجوبة لأسئلة معينة من قبيل: من نحن؟ ما الذي يميزنا عن الآخرين؟ ما الذي يشكل خصوصيتنا، شخصيتنا وأصالتنا؟ (ABOU,2009, pp. 18-19).

ومن الجدير بنا أن نتطرق إلى أن موضوع الهوية الثقافية والاجتماعية يتقاطع مع مفهوم أساسي، يربط بين الأفراد الذين ينتمون لمجتمع واحد ولديهم هوية واحدة، ألا وهو التماسك المجتمعي، والذي يعني "تلك الروابط القوية والعلاقات الموجبة الناتجة عن تفاعلات الأفراد في إطار المجتمع، بالشكل الذي يجعل الأداء الوظيفي لبنى المجتمع يسير نحو المزيد من التفاعل الذي يجعل الفرد ملتزما بالمعايير والقيم المشتركة بما يوحد الفرد بالجماعة، ويعمل على استقرار النظام الاجتماعي، مشكلا وحدة اجتماعية ثقافية متينة" (زايد الطبيب، 2005، ص32).

2.2 أهم دعائم الهوية الجزائرية:

عند تناول موضوع الهوية، بالنسبة لأي مجتمع كان، من الضروري التطرق ولو بصفة موجزة لأهم ركائز هوية ذلك المجتمع، والتي تجعله يتميز عن باقي المجتمعات، وبالنسبة للمجتمع الجزائري فإنه يحمل تراث تاريخي متنوع، حيث شهدت الجزائر قيام عديد الدول والحضارات، كما أنها عرفت كذلك حملات استعمارية، خضعت على إثرها لدول أجنبية، وبالأخص تلك القادمة من الضفة الشمالية للبحر الأبيض المتوسط، من رومان، وندال وبيزنطيين، مرورا بالإسبان (بعض المدن الساحلية الغربية للجزائر كوهران)، الأتراك، والاستعمار الاستيطاني الفرنسي.

وقد شكل ذلك تنوعا على المستوى الثقافي، وتمازجا بين التراث الأمازيغي، العربي والإسلامي، هذه الركائز المتينة التي أصبحت تشكل الهوية الجزائرية، وتحت رايتها تم مقاومة الاستدمار الفرنسي (على حد تعبير الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم)، فلقد ساهم هذا الاستعمار في دفع الجزائريين للتقارب وتشكيل مجموعة موحدة، متفقة على ضرورة تحرير الجزائر، وتجميع الجهود من أجل المقاومة بشتى أشكالها، والتضحية بالنفس والنفيس في سبيل الحصول على الاستقلال، وذلك بعد أن كانت كل منطقة بعيدة عن الأخرى.

وبعد الاستقلال، شهدت الجزائر تعددا وتنوعا نتيجة لمختلف تلك المراحل التي مرت بها، إذ تم الاعتماد على الحزب الواحد (حزب جبهة التحرير الوطني) وحكومة تقوم بتوزيع عائدات الريع النفطي، وفي هذه المرحلة تميز المجتمع بتبلور فضاءين على حدى: الفضاء الأول يتمثل بشكل أساسي في الزوايا، التي كانت بمثابة أماكن تعليم وعبادة، لكنها أيضا كانت "مراكز ثقافية"، يتم فيها مناقشة مختلف المواضيع الفلسفية وغيرها. أما الفضاء الثاني فيمكن وصفه بالعلماني، والذي ساد عند بعض الشباب، حيث سايروا طريق الحرية والابتعاد عن الخطابات الدينية، وهو مجال تشكل حول موسيقى شعبية في بعض المدن، وهو نوع موسيقي أصبح يسمى فيما بعد بالراي (Marouf, 1993, pp.14-15).

وعند الحديث عن مقومات الهوية الجزائرية، لابد من التطرق إلى كون هذه المقومات مستمدة من تراكم التراث التاريخي الذي شهدته الجزائر عبر مختلف الحقب التاريخية، بالإضافة إلى تلك الحضارات والثقافات التي تفاعلت معها، لكن وبعد 1962 واسترجاع السيادة الوطنية، فإن ثمة بعض المرجعيات التي ساهمت بشكل فعال في بناء ذلك الإطار أو النسق المتكامل المحدد للهوية الجزائرية، وهي بالأساس ميثاق أول نوفمبر 1954، وأرضية الصومام في 1956، وبعد دستور 1963 نجد الميثاق الوطني لسنة 1976. وحتى لا نضيع الكثير من الجهد والوقت في التطرق لجل المبادئ التي تحملها هذه الوثائق الأساسية، فإن أهم المبادئ التي تتكرر في نصوصها تتمثل أساسا في قيم الإسلام، العروبة، مبدأ العدالة الاجتماعية والتضامن الوطني. وقد تلى ذلك في مراحل لاحقة، الاعتراف بالبعد الأمازيغي للهوية الوطنية على مراحل، فقد تم دسترة اللغة الأمازيغية كلغة وطنية في التعديل الدستوري بتاريخ 10 أفريل 2002، وبعدها كلغة رسمية في 2016.

في مختلف بقاع العالم، من الأمريكيتين، أفريقيا، آسيا، استراليا،... يبقى الدين، وبدرجات متفاوتة مصدرا للهوية، حتى

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وإن كان هذا الدين غالبا ما يتم استعماله لأهداف سياسية (ABOU, 2009, p.19)، وحري بنا أن نذكر بكون الشريعة الإسلامية قد ساهمت بشكل كبير في تشكيل الهوية الثقافية والاجتماعية للجزائر، "فأصالة المكون الثقافي ووحدته وذاتيته تكمن في لبنات تشكيله الأولى، ومما لاشك فيه أن أصالة الثقافة العربية الإسلامية إنما تعود إلى الدين الإسلامي، الذي شكل عناصرها ونسيجها في الأخلاق، القيم، التنشئة والقوانين والعادات، ... وغيرها من ألوان وفنون وأنشطة الحياة المختلفة" (زايد الطبيب، 2005، ص194).

وهذه المبادئ المذكورة آنفا هي ركائز الهوية الوطنية، وهنالك ما يمكن التعبير عنه بمبادئ أخرى جزئية، ومتفرعة عنها، فاعتبار الإسلام ركيزة أساسية قد تبعته مبادئ أو مقومات ولو بطريقة غير مدسترة، أي لا نجد نصوص تشير بشكل واضح إليها، لكنها تجلت عن طريق الممارسة، فمنذ قرون خلت، ومنطقة شمال أفريقيا اختارت الانتماء إلى أهل السنة والجماعة والعمل بالمذهب المالكي، مجسدة بذلك مبادئ الوسطية والاعتدال ونبذ التشدد والتطرف والغلو في الدين، وقبول الحوار مع الآخر، بدليل وجود أقليات دينية في المنطقة تتمتع بكامل حرياتها.

كما أن المبدأ المتعلق بالعروبة، هو أيضا له بصمته المغاربية أو بالأحرى الجزائرية، حيث للجزائر لهجاتها العربية الخاصة بكل منطقة لكنها مشتركة ومتقاربة في المنطقة المغاربية. أضف إلى ذلك البعد الأمازيغي للمنطقة، حيث تتواجد مجموعات مختلفة على امتداد التراب الجزائري، والمغاربي بشكل عام، من التوارق في الجنوب، الميزابيين في غرداية، القبائل، الشاوية، الشلحية، الشنوية، وغير ذلك، ولقد ارتأت الدولة تشديد اللحمة الوطنية وتقويها عن طريق إدخال ذلك في الدستور والاعتراف بكل أبعاد الهوية الوطنية.

لكن الملاحظ، ورغم كل هذا الغنى الثقافي والمجتمعي للجزائر، توجه الشباب الجزائري لتقليد الآخر، سواء في الملبس، المأكل، المشرب، اللغة، حتى في مختلف المظاهر والميولات والأهواء وغير ذلك، فلكل منطقة من الجزائر بعض المصطلحات التي تميزها عن الأخرى، نوع من المأكولات التي تشتهر بها، أشكال من الألبسة والأزياء... الخ، بالإضافة إلى مناخ معين خاص بها (صحراوي، قاري، متوسطي،..) لكن كل هذا لم يجلب الإعجاب للشباب عندنا ولم يغنهم عن التشبه بالآخر، في الإعجاب بطريقة عيش هذا الآخر، والسعي للالتحاق بالغير، سواء للاستقرار هنالك أو على الأقل من أجل السياحة. وهذا ما يؤدي بنا لمحاولة التنقيب عن تلك الأسباب التي تجعل فئة الشباب في الجزائر تكون مهتمة بالنماذج الثقافية للغير، وتسير على نهجها في مقابل اعتبار مقومات الهوية الوطنية، أو ما يجعلنا متميزين عن الغير، إنما هي أمور تقليدية، أكل عليها الدهر وشرب، ولم تعد صالحة لهذا العصر.

2.3 تجليات الهوية الثقافية لدى فئة الشباب الجزائري:

في بداية الأمر من الضروري التفريق بين ما هو حس وطني، حب الوطن، روح وطنية ... أو لنسميها كما نشاء، ويقابلها الهوية الوطنية الجزائرية بمختلف مقوماتها التي تطرقنا إليها بإيجاز أعلاه، وطرق ترسيخها، حمايتها، والعمل على ديمومتها عن طريق الاعتزاز بها وتلقينها للأجيال المقبلة.

إذا كان التاريخ يشهد على حب الوطن والروح الوطنية التي يتمتع بها الشباب الجزائري دون تمييز عبر مختلف التراب الوطني، فإن أبرز دليل هو ليس بالبعيد من حيث الزمن، يتمثل في مباراة كرة القدم التي جمعت بين الفريقين الوطنيين لكل من الجزائر ومصر في نوفمبر 2009، إذ وبعد سوء التفاهم والمساهمات السلبية التي قامت بها وسائل الإعلام لنصرة الفريقين، رأينا كيف كان الشباب الجزائري يعتز بجزائريته، ويحاول التنقيب عن تراثه التاريخي، من أجل الدفاع عن الوطن والرد على الحملات الإعلامية للأشقاء في مصر.

أما بالنسبة لما هو مرتبط بالهوية الثقافية والاجتماعية فالأمر مختلف، حيث يقدم الشباب، وفي معظم الحالات –إن لم نقل كلها- بطريقة غير واعية مساهمات سلبية، أحيانا تميل إلى عدم خدمة ذلك العقد الاجتماعي الذي يربط الجزائريين ككتلة موحدة مع المسؤولين في الدولة، وهي أعمال لا تخدم العيش المشترك والبقاء لتلك القيم، فعند التشبه بالآخر في طريقة العيش،

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

طريقة التواصل، المظهر، وطبيعة العلاقات الاجتماعية وفقا للنماذج التي يقدمها الآخر، ... في المقابل التقليل من قيمة القيم الأصيلة لمجتمعنا واعتبارها بالية ولم تعد تصلح لوقتنا، وأنها لا تتماشى مع قيم التحضر وأن المتمسك بها هو متأخر غير قابل للتطور، بل ورجعي.. كل ذلك لا يخدم الهوية الوطنية، بل يؤدي مع الوقت إلى فقدان البوصلة التي تسمح لنا بمعرفة معالم الاتجاهات، والإجابة عن السؤال الجوهري: من نحن؟

ومربط الفرس يكمن هنا، إذ تنمو الفجوة بين الشباب والهوية الوطنية بطريقة غير واعية، حيث لم يتم حسم الجدال بين الأصالة والمعاصرة، بين التفتح على العالم والتفاعل الإيجابي مع الجميع، أو الانغلاق ورفض ما يأتي من الأجانب، وفي المقابل هناك ضرورة تفرض نفسها وهي الحفاظ على الذات وحماية الهوية الوطنية، لأنها الأساس الذي يضمن التقدم ويكفل الاستمرار للدولة والمجتمع الجزائريين.

في إطار الحدود المائعة وتراجع سيادة الدولة، هنالك ما يمكن تسميته بالغزو الثقافي الذي تعمل من أجله الترسانات الإعلامية للدول الغربية المصدرة للعولمة، حيث يغيب التفاعل مع تلك الحضارات، بل هنالك فقط استقطاب وتأثير أحادي الاتجاه، وبتعبير آخر نحن نتأثر بمخرجات الثقافات الأجنبية، بينما لا يكون لدينا حضور في مدخلاتها، فنحن فقط نستقبل ولا نساهم في تلك العولمة الثقافية.

وهذا يبدو جليا على فئة الشباب في الجزائر، حيث أضحت تقلد الغير في مختلف العادات، لكن الملاحظ هو غياب التنقيح وحسن الاختيار لما يجب أخذه من الأجانب، فطريقة اللباس والأكل والتواصل ومختلف العادات اليومية وقس على ذلك... إنما هي في واقع الأمر قشور الحضارة ليس إلا، فلا يمكن الاعتماد على استيراد مظاهر الحضارة حتى يقال أننا متحضرين، فلماذا لا يستورد الشباب من اليابانيين طريقتهم في الإضراب، أين يعملون دون توقف للتعبير عن رفضهم لأمر معين، بل يكتفون باستيراد طرق لباسهم، وعاداتهم المخالفة لثقافتنا، وما إلى ذلك.

3. أهم العوامل المسببة للانسلاخ الهوياتي لدى الشباب الجزائري:

تشكل فئة الشباب لدى كل دولة ذلك الذخر أو المصدر للإمداد بمختلف الطاقات للأمة، والجزائر لا تخرج عن هذه القاعدة، ومن الضروري أن تكون تلك الطاقات الشابة مشبعة بالروح الوطنية، ومقتنعة بمختلف مكونات الهوية، لكن أيضا تدافع عنها باعتزاز وفخر. وبتعبير آخر فإنه من الضروري تكوين هذه الفئة على ضوء مقومات الهوية الوطنية، حتى تتبناها في المستقبل وتضل حامية لها، بل وتحملها حيثما كانت.

بالنسبة للحالة الجزائرية، فإن التشخيص في واقع الأمر ليس باليسير، لكننا سنحاول الاقتراب نحوه بقدر الطاقة، حيث يبدو لنا أن هذا التوجه نحو الانسلاخ الهوياتي، الإعجاب بكل ما يأتينا من الخارج، والسير مع تيار العولمة الجارف... الخ ترجع أسبابه إلى عدة جهات مسؤولة عن التنشئة الثقافية والاجتماعية، حيث وإن تحمل الشباب جزء من تلك المسؤولية، فإن ثمة جهات أخرى تتقاسم معه هذه الأخيرة، ولعل أبرز تلك الفواعل هي في المقام الأول: الجهة الرسمية المتمثلة في الدولة ومختلف الهيئات لتابعة لها وتسير تحت أوامرها، تليها ما يسميه الكثيرون بالسلطة الرابعة أو الإعلام. بينما نجد ثلاثة مؤسسات أخرى تتأرجح وصايتها بين الدولة والمجتمع أو ما يمكن أن نطلق عليها "الميمات الثلاثة" وهي: المنزل (أو الأسرة)، المدرسة والمسجد، وفي المقابل نجد القوى الدولية الكبرى المصدرة للعولمة بمختلف أشكالها والمحركة لها، لديها دور معتبر لكن تلك العناصر الأولى التي ذكرناها آنفا هي التي تفتح المجال أمام العولمة والاندماج فيها، مقابل التخلي أو التنازل عن هوية المجتمع.

1.3 الأبنية المسؤولة عن ترسيخ الهوية الثقافية:

أولا: مسؤولية الدولة في ترسيخ وحماية هوية المجتمع

تعد الدولة الفاعل الأساسي فيما تعلق بترسيخ الهوية الوطنية، وهي أيضا الطرف الأقوى كونها تتصرف باسم الإرادة العامة، تمثل جميع فئات المجتمع ومصالحه، ولأنها أيضا تحتكر العنف المشروع أو القوة العمومية، وهذا ما يجعلها مؤهلة للقيام

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

بمختلف الأعمال التي تراها مناسبة للحفاظ على الهوية الوطنية ولحماية مقوماتها.

لكن الملاحظ هو وجود نوع من التساهل، مقصودا كان أو غير مقصود، وبالخصوص في بعض المسائل التي كثيرا ما يتم اعتبارها ثانوية، هامشية وغير ذات أهمية، فإذا كانت اللغة العربية هي اللغة الرسمية للجمهورية، سواء فيما تعلق بعمل الإدارات ومختلف الهيئات الرسمية، فهذا لا يمنع من الاستعانة باللغات الأجنبية عند الحاجة إليها، لكن أيضا في المقابل من الضروري أن يتم التعامل بصرامة وحزم مع الحالات التي يتم فيها تهميش اللغة الرسمية للدولة وترك المجال للغة المستعمر السابق بدون الحاجة إلى ذلك، ومن المفروض أن تكون المؤسسات الرسمية هي المثل الأعلى للمواطنين فيما يتعلق باحترام الهوية الثقافية والاجتماعية للمجتمع الجزائري.

ثانيا: مسؤولية السلطة الرابعة:

يعتبر الإعلام بمختلف مكوناته ركيزة أساسية وعنصرا بالغ الأهمية في ترسيخ الهوية الوطنية، والترويج للثقافة السائدة في الوطن بمختلف الطرق، ابتداء من استعمال اللغات السائدة، احترامها والعمل على ترقيتها، تطعيم الخطاب الإعلامي برسائل هادفة تحمي قيم المجتمع وتحترمها، والسعي لتحقيق الوحدة وخلق نوع من التجانس بين شتى مكونات المجتمع.

وحينما نكون أمام مجتمعات متعددة ثقافيا، بما فيها اللغات أو اللهجات، الديانات أو المذاهب الدينية، العادات وما إلى ذلك، فإنه من الضروري أن يقوم الإعلام بدور إيجابي، أين يحول هذا التنوع إلى ثراء ومصدر قوة ومناعة للمجتمع، عكس ما تقوم به بعض وسائل الإعلام، التي تبحث دوما عن ثغرات ونقاط خلاف هامشية كي تثيرها، وتغذي خطاب الكراهية والتفرقة.

ومن هنا إذن فإن الإعلام بمختلف أشكاله يعتبر سلاحا ذو حدين قابل للاستعمال لمختلف الأغراض، وبالتالي فمن الضروري أن يكون تحت رقابة السلطات العمومية من جهة، لكن أيضا وجوب قيام الأسرة بدورها في توعية الطفل بمخاطر وسائل الإعلام التي قد يتعرض لها، بل وتلقينه الطرق المثلى التي تكفل له الحصول على الخدمات الإيجابية التي يقدمها التطور التكنولوجي، من إنترنيت وتلفاز وغير ذلك، مقابل تفادي السلبيات، وهذا ما يستدعي التوصل إلى إعلام مسؤول، ليست فقط مسؤولية قانونية، لكن أيضا مسؤولية أخلاقية أمام مبادئ وقيم المجتمع الجزائري.

ثالثا: الميمات الثلاثة: المنزل، المدرسة والمسجد:

ارتأينا جمع هذه المكونات الثلاثة لدورها العظيم في التنشئة الاجتماعية والثقافية، حيث أنه من المفروض أن يكون دورها متكاملا، ولا يكون بينها تعارضا.

أ- **المنزل أو الأسرة:** الأسرة هي نواة المجتمع، وهي الجهة الأولى التي تتكفل بتربية وتعليم النشء، وبالتالي فدورها ليس بالهين في تلقينهم المبادئ، القيم والثقافة السائدة في المجتمع، فمن الضروري أن تؤدي دورها كأول مؤسسة للتربية والتكوين، إذ هي المعلم الأول، فمساهمتها في ترسيخ الهوية الوطنية عظيمة، وأي خلل يطرأ على دور مؤسسة الأسرة إنما ينعكس بشكل مباشر على المجتمع، وأي انحراف عن الدور المنوط به سيحدث خللا فيه، لكن الملاحظ هو تراجع دور الأسرة، أو بالأحرى تنازل هذه الأخيرة عن بعض أدوارها لصالح الشارع أو كذلك لوسائل الإعلام، وهو في واقع الأمر تقصير يعود بالضرر على الجميع، لأن الأساس الذي تقدمه هذه الهيأة لا يمكن تعويضه من طرف مؤسسة أخرى.

ب- **المؤسسة التربوية (المدرسة):** هي ثاني هيئة يمر بها الطفل الناشئ، وفيها يتلقى العلم والثقافة، وفي الوقت ذاته يتكون وفقا لمجموعة القيم التي تمررها الجهات المسؤولة وتهدف لترسيخها في هذا الطفل، فحينما تكون الأهداف واضحة، بالإجابة عن السؤال: كيف نريد أن يكون الجيل الصاعد؟ ما القيم التي نود ترسيخها لديه؟ وما إلى ذلك، فإنه يتم إتباع استراتيجية واضحة المعالم لتحقيق ذلك الهدف، أما حينما تغيب مثل تلك الاستراتيجية، فإن المدرسة تنحرف عن الهدف المنشود الذي أنشئت من أجله، وتحيد عن المسار الصحيح لها، فإن منظومة القيم في المجتمع تصبح معرضة للاختراق والتراجع أمام قيم جديدة قادمة من خارج الحدود عبر مختلف الوسائل، والتي

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

تكون غير منسجمة مع ما هو موجود عندنا، وبالتالي تحدث نوع من الفوضى الثقافية والقيمية، مما يفتح المجال واسعا أمام ما يسمى بالانسلاخ الثقافي والهوياتي، وبتعبير آخر فإننا لا نجد إجابة عن السؤال التالي "من نحن"، ما هي قيمنا...

حينما لا تقوم المدرسة بالدور المنوط بها في التحصين الفكري والثقافي للنشء ولا تشارك بفعالية في عملية الضبط الاجتماعي (العميري، 2004، ص56)، فإنهم يكونون عرضة لمختلف عمليات الشد والجذب، حيث يسهل انسياقهم أو ضياعهم في حالة فقدان المعالم الرئيسية التي تنير لهم الدرب، والمشكلة للسياج الذي يحميهم من مختلف الأفكار الهدامة للدولة والمجتمع.

ج- المؤسسة الدينية (المسجد): تحظى المؤسسة الدينية، المتمثلة في المسجد لدى المجتمعات الإسلامية بمكانة خاصة، والجزائر لا تحيد عن هذه القاعدة، فحينما يقوم المسجد بدوره على الشكل المطلوب، فإن المجتمع والشباب خاصة، يكون محصن من الوقوع في علاقات مشبوهة مع الأفكار المتطرفة أو أن يكون تحت سيطرة أيديولوجية دينية قادمة من خارج الحدود، هادفة لإدخال مذاهب دينية غير معمول بها في منطقتنا المغاربية، التي تكون أحيانا مخالفة لمبادئ الوسطية والاعتدال، لقيم التسامح الديني والتعددية الثقافية السائدة في المجتمع.

وفي محاولة التشخيص هذه، يظهر لنا أن دور المؤسسة الدينية جد هام وأساسي، فحينما يشهد المجتمع مختلف المشاكل الناجمة عن إرهاصات الممارسات الأيديولوجية باسم الدين من هؤلاء الذين يبتغون الدنيا بعنوان الآخرة، ونلاحظ استمالة فئات واسعة نحو أفكار أصولية ومتعصبة، ونجد الخطاب المسجدي لا يتكيف مع المستجدات الحاصلة في المجتمع، فإن القسط الأعظم من مسؤولية ذلك الانحراف هو من يتحملها، فحينما يكون المجتمع غارقا في مشاكل مختلفة، من الضروري أن يواكب الخطاب المسجدي تلك التطورات، فكما يقول الدكتور "عمار جيدل" بخصوص ضرورة التطوير المستمر للممارسة الدينية، في سياق نقده للتدين في المجتمع الجزائري:

"**...** يقولون بمقالهم وحالهم أن عالم الأشياء بحاجة مستمرة للصيانة ومراقبة درجة توافقه مع أصل ما جعل له، فكيف نقبل هذا المنطق في عالم الأشياء ونرفضه في عالم أكثر تعقيدا يحتاج إلى الحضور النفسي والمعرفي الدائم، نظرا لوقوع نفوس البشر تحت طائلة التحريف بالترغيب والترهيب والإغراء، **...** وكانت هذه الممارسات سببا في شيوع التقليد المشجع من قبل الاستعمار، بتجهيل الشعب لغته أو بتكريس الغلبة الواقعية للفكر الممالئ للاستعمار" (جيدل، 2005، ص505).

ذلك على اعتبار أن المؤسسة الدينية في المجتمعات الإسلامية (المسجد) تختلف عن نظيراتها في بقية المجتمعات (كالمسيحية)، لأنها ركيزة، ولكن أيضا مركز الوعي المجتمعي، إذ تتمتع بمكانة رفيعة، ويلقى خطابها أثر واستجابة على مستوى المجتمع في وقت قياسي، وبالتالي فمن الضروري أن يتم التحكم فيها وتفعيلها، لأن دورها كبير في ترسيخ قيم الوحدة والولاء والبناء، لكن حينما تنحرف عن مسارها ويتم توجيه طاقاتها نحو التعصب والمغالاة **...** فدورها أيضا يحسب له الحساب، لأن كل ما يأتي من طرف تلك المؤسسة بالنسبة لغالبية أفراد المجتمع يحظى بطابع القداسة، وبالتالي وجوب الاستجابة والتنفيذ.

2.3 إشكالية الهوية لدى الشباب الجزائري: مسؤولية مشتركة وخطر داهم:

يشكل موضوع الهوية الثقافية في الجزائر، ولدى فئة الشباب على وجه الخصوص، موضوعا في غاية الأهمية، وكما تطرقنا سابقا، فإن الشباب عندنا لا يفتقدون إلى حب الوطن والروح الوطنية، وقد قدموا أدلة ملموسة في عديد المناسبات، لكن فيما يتعلق بمسألة الهوية، فإنه موضوع أكثر تعقيدا، إذ يبين لنا الواقع أننا فعلا في وضعية غير صحية، وبتعبير آخر فإن تلك العلاقة التي تربط الشباب الجزائري بالهوية الوطنية مصابة بمرض ساهمت جميع قنوات الضبط الاجتماعي في تفشيه، سواء تلك المتعلقة بوسائط التنشئة الاجتماعية والثقافية التي كثيرا ما قصرت في أداء مهامها، أو انحرفت عنها، أو بالنسبة للجهات الرسمية التي لا تولي الأهمية الكافية لهذا الميدان.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وكل هذا سمح لطرف ثالث وهو العولمة بأن تقوم بالدور الذي رسمته لها الدول الكبرى وتنجح فيه، فالإعجاب بالآخر على حساب مقوماتنا الذاتية، وبشكل علني من طرف النخب، يؤدي حتما للتأثير على الجماهير، والشباب على وجه الخصوص. وهذا ما يحدث حاليا، إذ نجد العولمة تسعى لطمس الهويات الوطنية ومعالم الثقافة الخاصة بكل أمة، عبر مختلف الميكانيزمات، من تلفاز، إنترنيت، وسائل الإشهار لمختلف القيم والعادات الغربية وغيرها.

فالدول الكبرى المصدرة للعولمة تسعى لفرض منطقها بشتى الأشكال، من ترغيب وترهيب أو حتى استعمال القوة في بعض الحالات كالتدخل من أجل فرض الديمقراطية، حقوق الإنسان وغير ذلك، إذ تقتضي هذه العولمة فتح الحدود، التنقل الحر للبضائع ورؤوس الأموال والأشخاص، وما رافق ذلك من تدويل (Internationalisation) الإعلام والاتصال، فالعولمة تؤسس وفي الوقت نفسه تبرر اقتصاد مفتوح بعيد عن المراقبة السياسية (ABOU, pp.19-20).

وهذا ما يؤدي بنا للتساؤل: أمام كل ما تقوم به الدول الكبرى لفرض نمط استهلاكي واحد، والقضاء على ثقافات مختلف الشعوب لصالح ثقافتها وغير ذلك، ما الذي قامت به الدولة لمجابهة تلك التحديات؟ ما هي الإجراءات المتخذة للحفاظ على هويتنا الثقافية وترسيخها لدى الشباب من أجل ضمان بقائنا؟ والإجابة هي أنه أمام ما نعيشه في الواقع، يبدو أننا أبعد ما نكون عن التفكير في مثل هذه الاستراتيجية، وما حال شبابنا اليوم إلا خير دليل على ذلك، فنراهم يتبعون الأجنبي عن غير وعي في مختلف عاداته، وإن كانت تخالف المبادئ أو المقومات الأساسية للهوية الجزائرية، سواء ما تعلق بالمظهر، والعادات الاجتماعية التي كثيرا ما تميل إلى الاغتراب والعيش في عالم خيالي الكتروني بعيد عن الواقع، وشغلهم الشاغل هو الالتحاق بأوروبا، جنة الله في الأرض، وإن هم سئلوا عن تاريخ بلادهم أو انجازات أسلافهم ... تراهم أبعد ما يكونون عن معرفتهم.

فهنالك إشكالية عميقة عند هذه الفئة، وإن جاز التعبير هنا لنقل صدأ الخيوط التي تربط الشباب بتاريخه، بأصالته، الافتخار بانتمائه، الاعتزاز بنسبه... الخ، فذاك لم يعد له أثر ملموس، فعدا تلك الشعارات المناسباتية لا نجد أمورا محسوسة أو ملموسة، وبتعبير آخر فإن هذه الفئة أضحت تتابع ثقافة الآخر، معجبة بالأجنبي، وبالتالي في مفترق طرق، ومع سوء الأوضاع الاجتماعية في بعض الحالات والتي يقوم الإعلام الوطني والأجنبي بتأويلات وتوجيهات وفقا لما يخدم أجندة معينة، وهو ما قد ينعكس سلبا على الأمن الوطني. وهذا يتجلى في وجود هوة بين الأجيال بدرجة أولى، والتي بجانبها ضعف التوعية بخصوص الأمن الهوياتي وضرورة التمسك بالهوية الوطنية، لأن وجود خلل في هذه الأخيرة سيؤدي حتما إلى وضع مسألة بقاء واستمرارية الأمة الجزائرية على المحك. وهنا لابد من التعرض لأمثلة من الواقع، فحينما لا يعرف الشباب عن بطولات أسلافهم، فإنهم اليوم يعتزون بغيرهم في مختلف المناسبات، فحديثهم مثلا عن قيم الشجاعة والصمود، التضحية والإصرار وغيرها تحيلهم مباشرة إلى شخصيات أجنبية بعيدة عن بلادنا ليس فقط من حيث الجغرافيا، لكن أيضا من ناحية الثقافة والمصلحة (شيغيفارا، هتلر،...وليس إلى بن مهيدي، فاطمة نسومر، العقيد عميروش، والقائمة طويلة).

وحتى فيما تعلق بمسألة التدين وما ارتبط بها في الوقت الراهن من صراع بين المذاهب، وتطور الإسلام السياسي، فإن الملاحظ هو أن فئات واسعة من أفراد المجتمع الجزائري يتجهون نحو إتباع الفتاوى القادمة من خارج الحدود، بينما لا نعير علماء وفقهاء بلادنا الأهمية، رغم أن هؤلاء قد نالوا الاعتراف والاحترام من لدن كبار رجال الدين في العالم الإسلامي (عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي، الطاهر نايت علجة، وغيرهم) لكن نلاحظ ميولا لاستيراد الفتاوى وإتباع الأجانب في كل الأمور، متجاهلين الخطر القادم من وراء ذلك.

ومن هنا إذن، فقد تطرقنا عن طريق الشرح والأمثلة للاقتراب أكثر من تشخيص مشكل الهوية لدى الشباب الجزائري، وتبين لنا أن مسؤولية ذلك هي مشتركة بين مختلف مؤسسات الضبط الاجتماعي، سواء تلك الرسمية أو غير الرسمية، أضف إلى ذلك ما تقوم به مختلف قوى العولمة وبالخصوص منها وسائل الإعلام

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

والاتصال الهادفة للقضاء على الهويات الوطنية وإذابتها في هوية عالمية موحدة قوامها إتباع الغرب في قيم الاستهلاك والبذخ ونمط العيش، والتنازل عن كل إرثنا التاريخي التي لم يعد يصلح لهذه الفترة حسب ما تروج له معظم تلك الوسائل.

كما أن الشباب أنفسهم يتحملون قدرا من تلك المسؤولية، إذ اكتسبوا ثقافة اللامبالاة، وعدم البحث عما يربطهم بوطنهم الأم، ومن هنا فقد انتشرت عقلية التواكل، كل عضو في البنية الاجتماعية ينتظر فقط ما يقدمه الآخر، ومن جهة ثانية فإن المادة أيضا قد قامت بدور سلبي في مواجهة القيم المعنوية المنتشرة في مجتمعنا، فحتى العمل الجمعوي الذي من المفروض أن يكون لغرض تربوي، توعوي، تحسيسي، ...الخ، يأتي بقيمة مضافة للمجتمع، فإنه قد أضحى ربحي، براغماتي وانتهازي، أين أضحى الشباب يبادرون إلى تأسيس جمعية أو الانخراط فيها (ليس في جميع الحالات طبعا) من أجل الحصول على مكاسب مادية، المشاركة في الحملات الانتخابية المربحة، أو حتى المزايا التي يحصل عليها المسؤولون عن تلك الجمعيات في الحصول على تأشيرة سفر نحو أوروبا.

4. طبيعة العلاقة بين الهوية الوطنية والأمن الوطني الجزائري:

هنالك صلة وثيقة بين الهوية الثقافية والأمن الوطني، ولتبيان ذلك لابد من التطرق ولو بإيجاز لأبعاد هذا الأخير. فحسب المتخصصين في الدراسات الأمنية أمثال "باري بوزان " (Barry Buzan)فإن الأمن الوطني لأية دولة يتشكل من خمسة أبعاد أساسية: البعد الاقتصادي، البعد العسكري، السياسي، المجتمعي والثقافي. وهي مترابطة فيما بينها ارتباطا وثيقا، وكل منها يخدم أمن وقوة الدولة من أجل تحقيق الهدف المنشود والمتمثل في الحفاظ على بقائها من خلال زيادة وتطوير قدراتها في عالم من الفوضى وغياب النظام كما يقول بذلك المفكر الانجليزي توماس هوبز، ويدخل موضوع الهوية الثقافية في إطار كل من البعدين الثقافي والمجتمعي للأمن الوطني.

يعتبر الأستاذ محمد سي بشير أن الهوية "تجمع رموزا، خصائص، مبادئ وعقائد تجعل أمة ما (أو مجتمع ما) يشعر بالاختصاص بمصادر الهوية الكبرى وأعمدتها (مثل الإسلام الذي يشكل أساس الهوية الكلية بالنسبة للمجتمعات العربية والإسلامية مثلا)، وبالتمايز عن الغير وعن الآخر دون إغفال أو انعزال، ويكون المجتمع بالتالي، قد حدد إطارا مرجعيا عاما لتجديد وتجدد الهوية وإعادة إنتاجها قصد تشكيل روافد معرفية ووجدانية ورمزية وسلوكية وحضارية تضم المحددات: التاريخية، الجغرافية، اللغوية، الجمالية، الثقافية،..." (بلهول، 2015، صفحة 472)، وأمام مختلف التحديات والرهانات التي تواجه الجزائر، من الضروري إعطاء المزيد من الأهمية للهوية الوطنية، وذلك عن طريق تحديد دقيق لمكوناتها دون تهميش أو إقصاء، وجعل المواطن يعرفها لكن أيضا يتمسك بها وينقلها للأجيال الصاعدة، فحينما تعيش دولة معينة مشكل هوية فإن بقائها في المستقبل هو محل نقاش، لكن أيضا طريقة تحديدها لاستراتيجية الأمن القومي. لأن التجارب الميدانية توضح أن الهوية تشكل المرجع المحدد لمعرفة طبيعة مصالح الدولة وطموحاتها، وكذلك مكانتها بين الدول الأخرى.

وبالنسبة للدول التي تحظى بتنوع ثقافي، وهو حال الجزائر، فإن المفروض هو اعتبار ذلك التنوع ثراء ومكسب إيجابي، إذ أنه من الضروري على صناع القرار السعي لخلق ترابط، تقارب، وحتى نوع من التجانس والتفاعل الإيجابي بين مختلف التشكيلات الثقافية والاجتماعية من أجل تشكيل هوية وطنية منسجمة، ساهم فيها الجميع، يشترك فيها الجميع، ينتسب إليها الجميع، لكن أيضا يتبناها ويحميها الجميع. وهذا هو الرهان الحقيقي الذي يفترض العمل من أجله.

وهذا يرتبط بمسألة الأمن الوطني ارتباطا وثيقا، فحينما نعتبر التعدد الثقافي أمر غير إيجابي، ويتم خلق صراعات بين مختلف التشكيلات الثقافية، وعدم التقريب بينها، وسيادة منطق الانعزالية والانكفاء، أين تحاول كل مجموعة الحفاظ على ذاتها من خلال الانغلاق حول نفسها، فهذا يؤدي لخلق ما يسمى بدولة الأمر الواقع، أي أن تكون مجموعات متباعدة ومستقلة عن بعضها (تكتلات ثقافية، أيديولوجية، دينية، ...) داخل الدولة الواحدة، وبتعبير آخر فكل تشكيلة ثقافية تعيش في منطقتها الخاصة، لا تتفاعل مع بقية المجموعات، فإن ذلك يخلق نوعا من

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الصراع والتنازع بدل التكامل والاندماج، بل ويكون أحيانا رفض لتواجد كيان الدولة المركزية ورموزها في بعض الأقاليم، وهذا ما يعرض الأمن الوطني للانكشاف والتهديد.

وهنا لابد من توضيح فكرة مفادها أن الأمن الهوياتي هو الركيزة الأساسية لتحديد مفهوم أمن دولة معينة ووضع الأسس الكفيلة بتحقيقه، فالضعف الاقتصادي قد يمكن تجاوزه بوضع استراتيجية اقتصادية، بالاستثمار أو الحصول على قروض أجنبية وما شابه. وجود هشاشة في البعد العسكري للأمن الوطني قد يمكن تحمله حينما تكون البيئة الأمنية المحيطة بالدولة بعيدة عن التحديات الأمنية المحدقة، أو يمكن اللجوء للتسلح وتقوية الجيوش لتجاوز ذلك الضعف، وقس على ذلك بالنسبة للأبعاد الأخرى، لكن ما يتعلق بالأمن المجتمعي والثقافي، وبالهوية الوطنية بالدرجة الأولى، فإن أي خلل يطرأ عليها، إن لم يتم تداركه في وقت مبكر، وإصلاح الأخطاء المرتكبة، فإن كيان الدولة سيصبح مهددا.

وبالتالي فإن الأمن الوطني الجزائري هو جد مرتبط بالبعد الهوياتي، وهو ما نراه يتجسد في الإصلاحات المستمرة التي تقوم بها السلطات، وإن كان لا يزال هنالك مجهود يجب بذله في هذا الاتجاه في المراحل القادمة، حيث تستدعي حالة الثراء والتعدد الثقافيين، ترقية مجموعة قيم لتكون عليا، مشتركة ومقدسة من طرف كل أفراد المجتمع، مع الاعتراف بجميع القيم السائدة وفرض احترامها من طرف الجميع، فهكذا يتم خلق أرضية صلبة من الثقة بين الأفراد والسلطات، وكذلك التفاف المواطنين حول قيم الدولة والمجتمع، وإدراج تلك القيم في الوثائق الرسمية، التي يشكل الدستور أعلاها.

ويمكن تجسيد ذلك كله عن طريق ترقية مجموعة قيم مجتمعية، تجعل هذا المجتمع متميز عن غيره من المجتمعات، وتتضمن هذه القيم غالبا "قيمة القانون، قيمة الحق، وقيمة العدل"، والتي يتم تبنيها من أجل تجديد العقد الاجتماعي الموجود بين الحكام والمحكومين في كل مرة، ومن أجل خلق ثقة بينهم، فتلك القيم الثلاثة تؤدي لفتح آفاق نحو ثلاثة مبادئ أخرى: "دوران النخب، تعاقب الأجيال والتداول على السلطة" ((بلهول، 2015، صفحة 475)، وهذا من شأنه الإسهام إيجابا، ليس فقط في الممارسة السياسية، ولكن أيضا في وضع حد لاستعمال الدين ومقومات الهوية الوطنية في مختلف المناسبات.

5. خاتمة:

من خلال ما تم تناوله في هذه الدراسة، تبين لنا حجم الهوة الواقعة بين فئة الشباب والهوية الثقافية في الجزائر، وذلك انطلاقا من جملة أدلة سقناها في المتن، خصوصا أمام سلسلة التغيرات الحاصلة على الصعيد الوطني، الإقليمي والعالمي، وفي عالم تطبع عليه القيم المادية الغربية في سياق الكوكبة ومركزية القيم الأمريكية والسعي لإقامة حكومة عالمية.

هذا مقابل تقصير مؤسسات الضبط الاجتماعي في أداء المهام المنوطة بها في تحصين المجتمع الجزائري من محاولات الغزو الثقافي والاختراق القيمي التي يتعرض لها بشكل مستمر، عن طريق ضرورة تلقين الفئات الشابة مبادئ الهوية الثقافية الجزائرية، وجعلهم يعتزون ويفتخرون بالانتماء لهذه الثقافة، حيث يبين الواقع وضعية مؤسفة آلت إليها فئة الشباب عندنا، فهم أبعد ما يكونون عن معرفة تاريخهم، وللتعبير عن ثقافة بلدهم والاعتزاز بها بين الأمم، فالشباب الجزائري فعلا محب لوطنه لكن ظروف المعيشة ومختلف المشاكل التي يمرون بها تجعلهم لا يعيرون كثيرا من الأهمية لمرتكزات هوية بلادهم نتيجة الأسباب التي سبق وأن تطرقنا إليها.

ففي عديد الحالات برهنوا على حبهم للجزائر، وبالخصوص حينما يتعرض لها طرف أجنبي، حيث أنهم مستعدون لتقديم النفس والنفيس من أجل الدفاع عنها، وهذا أمر إيجابي لكنه غير كافي، وبتعبير آخر يمكن القول أنّ هذا العنصر هو ضروري لكنه غير بناء، فالاعتزاز بالهوية والانتماء للجزائر من الضروري لا يقتصر فقط على حالات وجود خطر خارجي (الدفاع)، بل يجب أن تكون في حالات السلم لأنها هي الفترة الطويلة من جهة، وهي أيضا تلك التي تسمح بالبناء والتشييد.

هنالك خلل في الهوية الثقافية بالجزائر، وعند فئة الشباب بالخصوص، ومنه فمن الضروري أن يعاد النظر في أبرز

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

مؤسسات الضبط الاجتماعي والتنشئة الثقافية، التي تتشكل من أربعة ركائز متكاملة والمتمثلة في الأسرة، المدرسة، المؤسسة الدينية، والإعلام، حيث تستدعي الأوضاع الراهنة تحديث هذه الهيئات وتطويرها بشكل يجعلها مؤهلة للقيام بالدور المنوط بها في الحفاظ على الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري، والتوفيق بين الأصالة والمعاصرة ومواكبة التغيرات الحاصلة على مختلف الأصعدة .

ذلك بالإضافة إلى وجود إرادة سياسية لصياغة استراتيجية واضحة المعالم للحفاظ على الأمن المجتمعي والثقافي للجزائر أمام التحديات التي تواجهها اليوم، سواء تلك القادمة من العولمة وإفرازاتها، أو تلك التي يرجع مصدرها إلى التيارات المتشددة التي تهدد القيم التي يعرفها المجتمع الجزائري، من تسامح، تضامن، لكن أيضا وسطية واعتدال ونبذ الغلو والتطرف بشتى أشكاله.

5. قائمة المراجع:

الكتب:

- بلهول، نسيم (تحرير وإشراف)، (2015)، فهم الأمن القومي الجزائري من مدخلي الأمن الوطني والدفاع الوطني، عمان، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع.
- العميري، محمد بن عبد الله، (2004)، موقف الإسلام من الإرهاب، ط1، الرياض، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.
- الطبيب، مولود زايد، (2005)، العولمة والتماسك المجتمعي في الوطن العربي، ط1، بنغازي، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر.
- عمارة، محمد، (1999)، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، مصر، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

المقالات العلمية:

- تركي أحمد، وآخرون، (2011)، انعكاسات تمثلات أساتذة التربية البدنية للمادة على تنمية أبعاد الهوية الثقافية لدى تلاميذ الطور الثانوي في ظل الرهانات المستقبلية لعولمة الثقافة، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، (العدد الخامس)، ص.ص162-178، الجزائر.
- جيدل، عمار، (2005)، تشخيص العلامة عبد الحميد بن باديس لحال المجتمع الجزائري في العهد الاستعماري، مجلة المعيار، جامعة قسنطينة: العدد العاشر خاص بأعمال الملتقى الوطني حول "المشروع الثقافي الاستعماري في الجزائر 1830-1962 وتأثيراته المعاصرة"، الجزائر.

المراجع باللغة الأجنبية:

- ABOU Sélim, (2009), *De l'identité et du sens*, Beyrouth, Les éditions Perrin et les presses de l'université Saint Joseph.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)